

المحاضرة التاسعة

ثالثاً- شيوعية الملكية والأسرة في الجمهورية

في الجانب الاقتصادي من الجمهورية ، يقترح أفلاطون شيوعية تتناول كل ما يخص طبقتي الحكام والجنود (الحراس فقط ، كما وتشمل في اطارها ، ايضا ، نظام الاسرة بمعنى أن هذه الشيوعية تستند على دعامتين أساسيتين هما :الغاء ملكية الحراس أولاً والقضاء على نظام الأسرة ثانياً . فلأن الملكية الخاصة تؤدي الى قيام التفاوت في الثروات وبالتالي نشوء طبقتين متعارضتين (طبقة الأغنياء وطبقة الفقراء تناهض أحدهما الأخرى وتتاصبها العداء والحقد ، ينجم عنه تمزق وحدة الدولة وتفكك أوصالها ، لهذا يجب القضاء على هذا الشر الملكية بالنسبة للحراس :فلا توجد وسيلة لالغاء جشع الحكام والجنود الا بتجريدهم من الحق في تملك أي شيء ، أن على هؤلاء (الحراس (ألا يفتنوا بيوتا أو اراضي او تكون لديهم املاك خاصة بهم ، لأنهم أن إمتلكوا الأرض والبيوت ، وصار لهم مال خاص فإنهم يصبحون ملاكا وزراعة لا حراسة ، فيقضون كل حياتهم كارهين ومكروهين ، يدبرون المؤامرات وتدبر ضدهم والواقع أن افلاطون لم يكن يستهدف من فكرته هذه تحقيق هدف اقتصادي محدد - العمل على رفع مستوى معيشة الشعب أو بعض طبقاته - بقدر ما كان يتوخى الوصول الى هدف سياسي يتلخص في توفير أقصى قدر مستطاع من الوحدة داخل الدولة ، وتحقيق أعلى درجة وأعلى قدر من الولاء للوطن من جانب حراسه ومثل هذا الأمر رهن بالغاء الملكية عموماً .إن هذا الاتجاه في التفكير يناقض تماما اسلوب المذاهب الاشتراكية الحديثة في البحث عن المجتمع المثالي أو المدينة الفاضلة .فأفلاطون لا يرمي إلى استخدام الحكومة لتحقيق المساواة بين الثروات بل يساوي بينها ليقادى عامل قلق يزعج الحكومة غذا يطلق على هذه الشيوعية أحيانا اصطلاح و الشيوعية الأرستقراطية ، طالما أتيح لطيفة المنتجين الاحتفاظ بأسرهم . ومالهم من املاك .

مرة اخرى نؤكد على ان افلاطون قد استثنى من هذا النظام طبقة المنتجين جاعلا تطبيقه مقتصرًا على طبقة الحراس(الحكام والمحاربين)، ومركزا في تطبيقه على الأهداف الاجتماعية - السياسية المتمثلة في تأمين وحدة المجتمع وتماسكه ضمانا لوحدة الدولة وتماسكها وضرورة أن يكون

الولاء الوحيد للحراس هو ولاءهم لمجتمعهم ودولتهم وسلطاتها السياسية وعدم تشتت ذلك الولاء أو تناقصه جراء حرصهم على أسرهم أو ثروتهم الخاصة بما استوجب عند أفلاطون حرمانهم من حقوق تكوين هذه الأسر أو تلك الثروات .ومن ثم فإن الأهداف الاجتماعية - السياسية في جوهر هذا النظام ومحوره ، وليس الأهداف الاقتصادية أو الأخلاقية ، حيث اعتقد أفلاطون أن الملكية الخاصة للثروة تنشأ عنها الطبقات وصراعاتها ، وأن الأسرة واحتياجاتها تلهي أربابها عن مسؤولياتهم الأخرى ، وتشتت ولاءهم ، وتمنعهم من تكريس حياتهم وجهدهم لهدفهم الأول والأهم المتمثل في خدمة الدولة ، وتضعف استعدادهم للتضحية من أجلها وفي ذلك مخاطر كبرى تهدد وجود الدولة ووحدتها وولاء قادتها وحراسها لها ومسؤوليتهم عنها .لقد استخدم أفلاطون السلطة ومؤسساتها وقدراتها ليس لتحقيق المساواة ، لأنه لم يؤمن بها أصلا ، بل لإلغاء الملكية الخاصة ونظام الأسرة لطبقتي الحكام والحراس مساوية بينهما في ذلك لهدف واحد ووحيد هو تفادي مصادر القلق و عوامل عدم الاستقرار الاجتماعي والسياسي ، دون أن يعني إلغاء الملكية الخاصة والأسرة بالنسبة للحكام والحراس حرمانهم من مصادر الحياة وامتعتها فأفلاطون سمح لهم بالحصول على ما يحتاجون إليه من متطلبات الحياة اليومية من مخزون المدينة من فائض سلع منتجها وبضائعهم ، وجعل زواجهم ممكنا ، لكنه جعله زواجا مؤقتا ، تتولى الهيئة الحاكمة تنظيمه والإشراف عليه واختيار أطرافه لضمان حصول المدينة على أفضل نسل ممكن تكون نتيجته مواطنين صالحين على قدر حاجة الدولة ومتطلباتها على أن يكون لهذه الهيئة حق التخلص من الأطفال المعاقين والفائضين لتعارض وجودهم مع مطالبها .واشترط أفلاطون لعقد الزواج أن يكون عمر الرجل بين 25 و 55 عاما وعمر المرأة بين 20 و 40 عاما ، وأن يسمح للأقوياء المتفوقين من شباب المدينة (ذكورا وإناثا) بزيجات متكررة لإنجاب أبناء متفوقين يشبهون آبائهم .وإذ رأى أفلاطون أن المرأة والرجل من طبيعة إنسانية واحدة وأنها متساويان من حيث النوع لكنهما مختلفان من حيث الدرجة ، فقد وضع للمرأة برنامجا تعليميا وتدريبيا مشابها للبرنامج الذي يتلقاه الرجل ، وقال بضرورة تأهيلها لنفس أهداف الدولة

وينطبق مثل هذا القول على إلغاء نظام الأسرة والزواج .ذلك لأن أفلاطون كان ينظر الى العاطفة العائلية في اشخاص بعينهم كمنافس قوي آخر لعاطفة الولاء للدولة ينال من الولاء للحاكمين

فانشغال الفرد بأبنائه نوع من الأثرة أشد خطرة من شهوة التملك . كما ينظر الى تدريب الأطفال ، في المنازل الخاصة كوسيلة سيئة لأعداد النشء على الولاء الروحي الشامل الذي يحق للدولة أن تطلبه . اما الزواج فأساسه ، في جمهورية افلاطون ، عقد مؤقت بين الرجل والمرأة وبشرط أن يظل الأطفال على جهل بوالديه ، فيجمع الذكر الادمي المناسب الذي سنه بين الخامسة والعشرين والخامسة والخمسين إلى الانثى الادمية المناسبة التي يكون سنها بين العشرين والأربعين عاما في الوقت والمناخ المناسبين وفي حفلات خاصة تقدم فيها القرابين وتتلّى الأناشيد . في هذه المناسبة يسمح للشباب القوي المنفوق بزيجات اكثر لانجاب عدد من الأولاد يماثلون آباءهم . ويسمح للرجل الشجاع أن تكون له علاقات زوجية اكثر من الآخرين ، وتترك له حرية الاختبار في هذه الشؤون اكثر من سواه لينجب أكبر عدد من الأطفال ، يمكن الحصول عليه من هذا الأب . الغرض هو انتاج أصلح سلالة آدمية على نفس المنوال الذي تنتج به أنسال الكلاب والطيور والخيل : اذا اردنا للقطيع سلالة من الطراز الأول ، فلقد كان افلاطون يرى ان غرض مثل هذا الزواج هو الإنجاب على وفق حاجة الدولة وتحسين النسل بمقتضى القواعد المرعية في الحيوان ، وكان يرى أن يوضع الأطفال في مكان مشترك يعتني بهم اناس متخصصون ، وتأتي الأمهات يرضعنهم دون أن يعرفنهم ، وبذلك لا توجد بين هؤلاء المواليد وأمهاتهم صلة معروفة ، ولكنهم جميعا يعدون بمثابة أسرة واحدة ، فيشع مجال التعاطف بينهم جميعا .

وهنا لا بد من التنكير بأن افلاطون لا يحرم تكوين الأسرة على طبقة المنتجين ، لكن مع ذلك يرى بضرورة فرض رقابة عليها للعمل على منع زيادة عدد السكان زيادة بالغة ، كما كان يرى أن يعدم كل طفل اذا لم يولد تام التكوين ، وكذلك يعدم الولد اذا كان فاسد الأخلاق لايرجى له صلاح . والمريض اذا كان لا يرجى له شفاء .

من بين القضايا التي لم يغفلها افلاطون هي المساواة بين الجنسين ، حيث يعتقد ان لا فارق بين الذكر والانثى من حيث الاستعداد الفطري للنهوض بالوظائف العامة، ومن ثم يجب أن ينال كل منها نوعا واحداً من التعليم ، وان تكون للنساء أهلية التعيين في الوظائف كالرجال : فلا بد أن تتلقى البنات نفس ما يتلقاه البنون من تعليم ، فيتعلمن الموسيقى والالعاب وفن القتال مع الصبيان جنبا

إلى جنب ، ومن حق النساء ان يكن على أتم مساواة بالرجال في كل شيء فنفس التعليم الذي يجعل من الرجل ولية للأمر طيب ، سيجعل من المرأة ولية للامر كذلك ، لأن الطبيعة الاساسية في كليها واحدة ، ولاشك أن هناك فروقا بين الرجال والنساء ، لكن هذه الفروق لأشأن لها بالسياسة ، فبعض النساء فلسفي النزعة ويستطيع أن يتولى شؤون الحكم ، وبعضهن حربي الصبغة ويمكن ان يصبحن مجندات ماهرات والواقع أن افلاطون لم يقصد بذلك الدفاع عن حقوق المرأة ، وانما كان يعتقد أن ذلك هو ما توحى وتوصي به المصلحة العليا للدولة ، اذ اننا بذلك نعمل على تعبئة المواهب الطبيعية لخدمة الدولة فحسب .

رابعاً- التعليم

التعليم عند افلاطون نظام هادف اجباري موجه ,لا يقتصر على مضمون العملية الاجتماعية التي تتيح للفرد توافقا مع مجتمعه حتى يصير في سعادة ورضى - وهو ما ذهب إليه السفسطائيون - ولكنه يرتفع عن ذلك المستوى درجات لاجتلاء الرؤيا الصحيحة في البحث وراء الحقيقة اللانهائية المجردة من حيث الفضيلة ومن ثم العدالة .وقد خص افلاطون التعليم بحيز كبير من اهتمامه إلى الحد الذي دفع البعض إلى اعتباره موضوع «الجمهورية الاساسي .والواقع أن لا غرابة في ذلك طالما أن افلاطون قد اعتبر الدولة منظمة تعليمية اذا صلح تعليم مواطنيها استطاعوا ببسر أن يتبينوا . أصل الصعاب التي تعترضهم ، أما إذا أهمل التعليم فإن أي عمل آخر تؤديه يكون غير ذي شأن .

اذن ان اداء الوظائف والأدوار السياسية والعسكرية أو الإنتاجية يكون تبعا للطبقة التي تؤهلها طبيعتها وقدراتها للانتماء إليها مع ملاحظة أن هدفه من ذلك لم يكن مصلحة المرأة أو الدفاع عنها بل هدفه مصلحة الدولة والحرص على تعبئة الموارد والقدرات الإنسانية كلها لخدمتها وتحقيق أهدافها أولا وأخيرا .وجعل أفلاطون تربية أطفال المدينة الفاضلة ، وخاصة أطفال طبقتي الحكام والحراس ،

من اختصاص السلطة الحاكمة ومؤسساتها دون الحاجة لتعريف هؤلاء الأطفال بذويهم لأنهم في الحقيقة أبناء الدولة .وينطلق موقفه هذا من اعتقاده بمسؤولية الدولة وسلطتها الحاكمة عن إعداد برامج التعليم والتأهيل الثقافي والمهني المواطنين والإشراف على تنفيذها ، فالتعليم نظام يستهدف تحقيق الانسجام بين طبيعة الفرد وأهدافه وطبيعة المجتمع وأهدافه ، ويمنح الفرد القدرات اللازمة لخدمة مجتمعه ، ويصل به إلى المعرفة الحقة بوصفها الطريق إلى الفضيلة والخير والعدالة . وانعكس اهتمام أفلاطون بالتعليم وتقديره لضرورته وأهميته ، في نظريته إلى الدولة بوصفها مؤسسة تعليمية يرتبط صلاحها وفضيلتها بصلاح وفضيلة مواطنيها ، الذين يرتبط صلاحهم وفضيلتهم بصلاح وفضيلة البرامج التعليمية التي تصممها وتنفذها الدولة ، مما دفعه إلى جعل التعليم في دولته المثالية إلزامية ومجانيا وموحدا وخاضعة للسلطة السياسية العليا والتي جعلها مسئولة بشكل حصري ومباشر عن تحديد أهداف الوظيفة التعليمية التربوية ووضع برامجها وتوفير مستلزماتها وإدارتها والإشراف عليها أولا بأول على أن تشمل بنطاقها جميع المواطنين من الجنسين مخالفة بذلك نظام التعليم الأثيني ومعارضة له من حيث طبيعته الاختيارية ، واختصاصه بالرجال دون النساء ، واعطائه الحرية للفرد في الحصول على نوع التعليم الذي يحصل عليه مقابل الأجر الذي بدفعه ، مما ينطوي على نقد غير مباشر للسلطة السياسية الأثينية ونظامها الديمقراطي ومفاهيمها السياسية والاجتماعية وموقفها من التعليم .أبناء ويتميز نظام التعليم الذي اقترحه أفلاطون بمراحله المتتابعة التي يكون لكل مرحلة منها أهدافها وبرامجها ، إذ يتطلب الكشف عن المواهب الحقة لدى الصغار أن تبدأ مرحلة التعليم الأولى منذ الطفولة وحتى سن العشرين ، حيث يدرس فيها الأطفال من الجنسين الموسيقى والشعر والتربية البدنية ، فتعلمهم الموسيقى الانسجام والتناسق والتناغم ومحبة العدل فهي بذلك الحل لمشكلة التعارض بين الشجاعة واللياقة ، ويعلمهم الشعر الذي تختاره السلطة السياسية المشرفة على البرنامج التعليمي القيم الأخلاقية ويلقنهم المثل العليا ، وتعلمهم

هي هذه الأهمية التي احتلها التعليم في كتابات أفلاطون جعلته يتجه إلى جعله نظام اجبارية وتحت رقابة الدولة ، باعتبار أن هذه المؤسسة (الدولة)لاستطيع أن تترك شؤون التعليم للحاجة الماسة ، وان يكون مصدرا للتجارة بل يتعين عليها أن توفر بنفسها الوسائل اللازمة لذلك ، وأن تتأكد من أن المواطنين يحصلون بالفعل على الأعداد اللازم ، وان تثبت ان نوع التعليم الذي يعطي فعلا يتلاءم

مع رفاهية الدولة وتجانسها ، والتعليم ينصب على ناحيتين رئيسيتين هما الموسيقى والالعاب ، ولكل من هاتين الكلمتين معنى أوسع من معناها القائم الآن : فالموسيقى تشمل كل شيء في عالم الفنون وهي تكاد تشمل بمعناها ما تعنيه اليوم بكلمة و ثقافة و أما الألعاب الرياضية فإنها تعني كل ما يتعلق بتدريب البدن وصلاحيته ، وهي أوسع قليلا ما نسميه الآن و تمرينات بدنية . أن مهمة الثقافة اعداد و السادة المهذبين بالمعنى المفهوم من كلمة «جنتل مان ، في انجلترا الآن ، وهو معنى يرجع إلى أفلاطون الي حد كبير ، فأثينا ، في عهده ، كانت في وجه من وجوها شبيهة بانجلترا في القرن التاسع عشر ، ففي كل منها طبقة أرستقراطية تتمتع بثروة ومنزلة اجتماعية لكنها لا تحتكر السلطة السياسية ، وفي كل منها كانت الطبقة الأرستقراطية تحاول جهدها أن تظهر بكل ما يسعها أن تظهر به من النفوذ عن طريق التأثير بسلوك أفرادها ، لكن الأرستقراطية في مدينة أفلاطون الفاضلة تحكم حكمة مطلقة من كل قيد ويمكن تفسير اصرار افلاطون على ادخال التعليم الاجباري الذي تتولاه الدولة إلى أثينا بأنه بمثابة تجديد لنظمها التعليمية ، وبأنه - في نفس الوقت - انتقاد) للتقليد الديمقراطي الشائع الذي يترك لكل شخص الحرية في أن يشتري لأطفاله التعليم الذي يعجبه أو الذي يجده في السوق . ويمتد هذا الانتقاد ايضا إلى النظم الاثينية التي تبعد المرأة عن التعليم ، اذ كان افلاطون يؤمن بعدم وجود فارق نوعي بين المواهب الطبيعية للأولاد والبنات ، فقد انتهى منطقية إلى القول بأنه يجب أن ينال كل من الفريقين نوعية واحدة من التعليم ، وان تكون للنساء أهلية التعيين في الوظائف كالرجال على حد سواء

ونكرر هنا أن هذا الرأي ليس دفاعا عن حقوق النساء بقدر ما هو مجرد خطة اريد بها تعبئة جميع المواهب الطبيعية لخدمة الدولة ، وعدم حرمان المجتمع من قدر من الجهد المنتج النابع من عقول مفكرة ومدربة . وحين يتناول أفلاطون المنهاج التربوي والتعليمي الذي يجب أن يتلقاه المواطنون في د جمهوريته ، نراه يقسم هذا البرنامج إلى ثلاث مراحل رئيسة تتعهد الدولة خلالها الاشراف على : تعليم النشء منذ حدثتهم حتى سن الخمسين . أما هذه المراحل فهي

المرحلة الأولى) : وتمتد حتى سن العشرين (ويتلقى الدارسون خلالها دروسا في الموسيقى والجمباز . وتشمل الموسيقى دراسات الشعر الجيد الذي تشرف الدولة على اختياره وتنقيته من

شوائب انحرافات الشعراء العابثين وعلى أن يتضمن المثل العليا التي يجب على النشء استيعابها والايمان بها . وقد طالب افلاطون باخضاع شعراء المستقبل لرقابة الحكام حتى لا يقع بين أيدي الشباب ما يمكن أن يؤثر فيهم :خلقية سيئا . أن الموسيقى - على حد تعبير افلاطون - قد نحل مشكلة التعارف بين صفات الشجاعة واللطافة ، لأن الروح تتعلم عن طريقها الايقاع والانسجام والتناسب ومحبة العدل . ولا يمكن لشخص تم بناؤه بطريقة متوازنة ومتعادلة أن يكون ظالما . فالموسيقى تحلي الخلق وتشارك في تقرير القضايا الاجتماعية والسياسية على حد سواء ، أما الجمباز فإنه يحتل المكان الثاني في خطة تعليم الشباب . فالتمرنات الرياضية البسيطة هذه تعلم النشء الصبر والطاعة ، كما تتعاون مع الموسيقى في اخراج تلك الرقصات الايقاعية والقصص الحركية لتهيئة الأمان الشباب لتقبل قيم ومثاليات اخلاقية

المرحلة الثانية () :بين العشرين والثلاثين (ويستغرق خلالها أولئك الذين نجحوا في المرحلة - الأولى في دراسة الرياضيات والفلك والفلسفة والميتافيزيقيا فالفترة التعليمية السابقة لم تكن في حقيقتها . أكثر من بداية للكشف عن المواهب الحقة عند ذلك النشء

المرحلة الثالثة :وتستغرق خمس سنوات يرتقي إليها أولئك الذين يظهرون أكبر قدر ممكن من - تفهم موضوعات الدراسة السابعة في تبات في هذه المرحلة بادر من الطالب مادة الفلسفة أو الجدل الداليتكتيكي مقرونا بالتأمل الميتافيزيقي ، لأن هذه المواضيع بمجموعها تساعده على تكوين وتشجيع الفكر الفلسفي وبالتالي تجعله على عتبات التأمل الفلسفي . ومجرد انقضاء هذه المراحل الثلاث بوضع الطالب ، موقع التجربة العملية ، حيث يطلب منه ممارسة كافة انشطة الدولة لاكتساب معرفة تطبيقية في مشاكل الحياة اليومية مع التعرض لمغريات المناصب التي يشغلها تباعا ، وتستغرق هذه الفترة خمسة عشر عاما لايعبرها ، في سن الخمسين ، الا أولئك الذين - الى جانب معرفتهم الواسعة بالنظريات وتمرسهم بالتدريب والخبرة - قد استطاعوا فعلا أن يعرفوا على ذاتيتهم ، وان يجدوا أرواحهم ، وأن يبدأوا السير على طريق المعرفة الاسمية أحقية الى المعرفة المطلقة اللانهائية . أولئك هم الفلاسفة ، ومن اكتسب فضيلة تغلين ، كل افكاره وأعاله بهالة من الخير والمحبة والتتكر للذات كان أصلح من يتولى الحكم في قومه (٩٣) هكذا أن ، من يجتاز هذه

المرحلة بنجاح يكون أهلا لتولي السلطة ، فيباشر تنظيم الدولة وشؤون المواطنين فيها دورية . أن دواء حين يتقلدواء المناسب فإنما يقومون بذلك لا باعتباره عملا مرغوب فيه وإنما كأمر لا سبيل لتجنسه . هذا العرض لبرنامج افلاطون التعليمي بجعلها نجي حقيقة مفادها أن الهدف التربوي لهذه الفلسفة هو انتاج المواطن الصالح الذي يعتمد صلاحه على قدر ما حصل من علم ومعرفة حقة تؤهله لأتزان وجداني خاضع لقوة عقله ، تلك القوة التي تسيطر على ما عداها من قوى الكائن البشري ، ومن كان كذلك كان مواطنة قاض يصلح لاشاعة الخير بين الناس حيث تتصاعد درجات فضائله باضطراد وبتزايد ارتباطه بمبادئ التخصص الوظيفي بين أعضائه ، غير أن هذا الاستنتاج لا يعفينا من ذكر وتسجيل بعض الحقائق على هذا البرنامج وهي :

أنه بالرغم من دعوى تكافؤ الفرص التعليمية التي نادى بها افلاطون بين ابناء وبنات طبقتي 1- الحكام والجنود فإنه أغفل مادون ذلك من اعضاء مجتمعه - المنتجين - وفي هذا حرمان ليس فقط لهؤلاء الأعضاء من الفرص المتكافئة للترقي والتقدم ولكنه كذلك حرمان المجتمع من امكانيات خدمات وعلى الأقل من بيرزون القائمة

٢- وبترتب على ماسبق تعريض سلامة ذلك المجتمع الفاضل للقلقل الناتجة عن عدم الاتزان . الأمتل بين القوى

برى افلاطون أن اختيار الحكام من بين اعضاء طبقتي الحكام والجنود يجب أن يتم عبر عملية ٣- تعليمية وتربوية طويلة ، يصاحبها تدريب عملي لا يقل استهلاكاً لعنصر الزمن بالنسبة لهذه العملية التربوية ، ولا يتفق مع المفاهيم الديمقراطية عموماً ، المفاهيم التي ترى أن الحكام يجب اختيارهم عن طريق الانتخاب . لكن مما يخفف من هذا الموقع أن افلاطون ، نفسه ، لم يكن داعية الديمقراطية مثالية بقدر ما كان منادية وعاملاً على تحقيق كفاءة أداء الوظيفة العامة ، على أساس من ارستقراطية ، تلك الفكر

